خطبة بعنوان

تعظيم الصلوات على غيرها من العبادات

بتاريخ/ ٢١ صفر ١٤٤٧هـ

لفضيلة الشيخ

محمد بن عبد الله الإمام

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدىٰ هدي محمد صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

ففي مقامي هذا سأذكر ما تميزت به الصلاة عن سائر بقية الأركان والعبادات.

تعلمون أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي الركن الأول من الأركان العملية، وهي الركن الأول من أركان العبادات العظمىٰ.

ألا وإن فضائل الصلاة لا يكاد أن يحيط بها أحد، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ": "وأمْرها - أي: الصلاة - أعظم من

أن يُحاط به".

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "الوابل الصيب": "ولما كان الصلاة مشتملة علىٰ القراءة والذِّكْر والدعاء، وهي جامعة لأجزاء العبودية علىٰ أتم الوجوه".

وقال الملا علي القاري رَحِمَهُ اللَّهُ في "مرقاة المفاتيح": "قال العلماء: الصلاة أفضل العبادات بعد الشهادتين".

ربنا جل شأنه أخبرنا أن جميع المخلوقات والكائنات من الجمادات وغيرها تسبح له، قال سبحانه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء:٤٤].

فهذا التسبيح الذي جُبِلت عليه المخلوقات وأُلهِمَت إياه موجود في الصلاة علىٰ أكمل وجه وأتمه كما تعلمون، فكل مصلي يقول في الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلىٰ.

وكذلك أخبر الله أن الكائنات تسجد له، قال: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ١٨﴾ [الحج:١٨]، فأخبر الله عن هذه الكائنات أنها تسجد له.

ألا وإن أعظم أركان الصلاة: السجود، فهو لُبُّها وروحها، وهو سِرُّها، فسجود المصلي لله أعظم وأجلُّ من سجود غيره من المخلوقات.

كذلك أيضًا: جاء من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند الإمام أحمد وغيره أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن نوحًا عليه السلام أوصىٰ ولده، ومن جملة ما أوصاه به أن قال له: «**وآمركما بسبحان الله وبحمده، فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزق كل شيء**».

كذلك أيضًا: الصلاة من بين سائر الأركان والعبادات والطاعات فُرِضت في الملأ الأعلىٰ، دعا الله رسوله في ليلة الإسراء والمعراج إلىٰ أن يُعرج به إلىٰ السماوات العُلىٰ، فُعرج به إلىٰ مكان لا يصل إليه ملَك مقرَّب، مكان يُسمع فيه صريف الأقلام، وبعد مشاهدة رسولنا الآيات الكبرىٰ في السماوات العليا فرض الله عليه وعلىٰ أمته خمس صلوات، فهذا الفرض فيها لا وجود له في سائر العبادات والطاعات.

كذلك أيضًا: الصلاة فُرِضت في العهد المكي قبل هجرته عليه الصلاة والسلام إلىٰ المدينة، وأما بقية أركان الإسلام من الزكاة والصيام والحج إنما فُرضت في المدينة، فمقادير الزكاة فُرضت في العام الثاني من الهجرة النبوية، ورمضان فُرض في العام الثاني من الهجرة النبوية، وأما الحج فلم يُفرض إلا في العام التاسع من الهجرة النبوية كما هو قول جمهور العلماء رحمهم الله تعالىٰ.

ففَرْض الصلاة بتفاصيلها قبل فَرْض بقية الأركان دليل علىٰ أهميتها وعلىٰ عظمتها.

كذلك: الصلاة يُشترط لها الطهارة من الحدث الأكبر والحدث الأصغر،

وهذا لا يُشترط في القيام بأركان الإسلام الأخرىٰ، فهذا دليل علىٰ جمالها وعظمتها وعظيم شأنها عند الله عز وجل.

كذلك: الصلاة جُعِل لها الأذان والإقامة، ولا أذان ولا إقامة لبقية الأركان.

كذلك: بُنيت المساجد من أجل أن تؤدىٰ الصلاة فيهن، بخلاف بقية الأركان، فإنهن لا يُشترط لهن المساجد.

كذلك أيضًا: الصلاة تؤدىٰ في جماعة، ولهذا قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون:٩-١١].

قال محمد بن نصر المروزي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه "تعظيم قدر الصلاة": "ولم نجد الله عز وجل مدح أحداً من المؤمنين بمواظبته علىٰ شيء من الأعمال مَدْح من واظب علىٰ الصلوات في أوقاتها". فالمحافظ عليها في أوقاتها ومع الجماعة هذا هو الذي يفوز بالمناقب والمحاسن والمحامد والفضائل.

وقد أخرج أبو نعيم في "الحلية" عن الإمام الكبير سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ – وهو من أئمة التابعين – قال: "من حافظ علىٰ الصلوات الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة".

تريدون أن تعرفوا أنكم عُبَّاد لله عز وجل؟ انظروا أين أنتم من المحافظة علىٰ هذه الصلاة.

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في "طريق الهجرتين": "فلا يَزِن العبد إيمانه ومحبته لله

بمثل ميزان الصلاة، فإنها الميزان العادل". بمعنىٰ: إذا أردنا أن نعرف أن فلانـًا مؤمن أم ليس بمؤمن فننظر إلىٰ صلاته: إن كان يصلي فهذا مؤمن، ويُنظر: هل يصلي مع الجماعة أم لا؟ فإن كان يصلي مع الجماعة فهذا مؤمن، إيمانه قوي وصحيح، وإيمانه عامرٌ به قلبُه.

ولهذا روىٰ الإمام الترمذي وغيره من حديث بُريدة بن الحُصيب رضي الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**». ومعنىٰ (العهد): العلامة والأمارة. يعني: علامة المسلم أنه يصلي ويحافظ علىٰ الصلاة، كما أن من لم يصلِّ فتلك من علامات الكفر، عياذاً بالله!

وجاء من حديث جابر رضي الله عنه عند الإمام مسلم أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر: ترك الصلاة**».

متىٰ تعرف أن هذا موحِّد وأن هذا يعبد الله؟ عندما يُعرف بالمحافظة علىٰ الصلاة.

أخرج الحافظ عبد الرزاق الصنعاني رَحِمَهُ اللَّهُ في "مصنفه" وهو أثر حسن: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلىٰ عُمَّاله: «**إن أهمَّ أموركم عندي: الصلاة، من حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيَّعها فهو لسواها أَضْيَع**».

إذا أردت أن تعرف المسلم كيف هو مع شرائع الإسلام وأحكامه؛ انظر إلىٰ صلاته، إن رأيت صلاته قد أقامها كما فرض الله وكما شرع الله فاعلم أنه علىٰ

خيرٍ مع الشرائع والأحكام، وإن رأيته قد فرَّط في الصلاة في أوقاتها وفي الجماعة فاعلم أنه علىٰ شرٍّ عظيم.

يا معاشر المسلمين، انظروا أين أنتم من المحافظة علىٰ الصلاة.

أخرج المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" عن جابر رضي الله عنهما أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**مفتاح الجنة الصلاة**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ": "رأس السعادة وهي ذِكْر الله والصلاة".

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالىٰ: "فإن الصلاة هي قوت قلوب المؤمنين وغذاؤها بما اشتملت عليه من ذكر الله ومناجاته وقُرْبه، فمن أتم صلاته فقد استوفىٰ غذاء قلبه وروحه، فما دام علىٰ ذلك كملت قوته، ودامت صحة وعافيته، ومن لم يُتم صلاته فلم يستوفِ قلبه وروحه قوتها وغذاؤها، فجاع قلبه وضعف، وربما مرض أو مات لِفَقْد غذائه كما يمرض الجسد ويسقم إذا لم يكمل بتناول غذائه وقوته الملائم له". نقلاً من "ذخيرة العقبىٰ" للإثيوبي.

رُبَّما أُصيب بالأمراض والموت عندما يُحرم القلب من هذا الغذاء ومن هذا الدواء ومن هذا الشفاء، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، هذا شأنها، وهذه عظمتها، وهذه منافعها الواسعة العظيمة.

لكن تشاهدون أن كثيراً من المسلمين لم ينتفعوا بصلاتهم، فترىٰ منهم من هو مُلوَّث بالمنكرات، ومنهم من هو واقع في ما وقع فيه من ذلك.

فيا مسلم، أعِد النظر في أمر قيامك بهذه العبادة، انظر أين أنت من مراد الله ومن حكمة الله في هذا التشريع ومما فرضه الله علىٰ العباد، فالله فرض الصلاة علىٰ العباد لتبقىٰ صلتهم به مستمرة من بين سائر أركان العبادات والطاعات، فإن أركان الإسلام الباقية إنما فُرِضت في أوقاتٍ متباعدة، أما الصلاة فَقد فُرِضت في اليوم والليلة لتبقىٰ صلاة العباد بربهم مستمرة في الحضر والأسفار، وفي الليل وفي النهار، وفي صلاح الأحوال وحصول الأغيار، لأنهم له راكعون، وبين يديه ساجدون، يعظِّمون هذه العبادة حق تعظيمها.

ومن شأن هذه العبادة وعظمتها: أنه لا نيابة فيها، لا يصلي أحد عن أحد، وهذه المسألة ذكر أكثر من عشرين عالمـًا ما بين مفسِّر ومحدِّث وفقيه الإجماع علىٰ أنه لا يصلي أحد عن أحد، لا فرضـًا ولا نفلاً، لا صلاة تُركت عمداً ولا صلاة تُركت نسيانـًا وسهواً، لا يصلي أحد عن أحد؛ لأن هذه العبادة لم تُشرع فيها النيابة، أما الصيام والحج والزكاة ففيها النيابة كما هو معلوم.

كذلك: الصلاة لا تسقط عن المكلَّفين علىٰ أيِّ حال كانوا عليه.

روىٰ الإمام البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كانت بي بواسير فسألت النبي صلىٰ الله عليه وسلم عن الصلاة فقال: «**صل قائمـًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلىٰ جنب**»، وهذا الحديث قد جاء من حديث

علي بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر والحسين بن علي رضي الله تعالىٰ عنهم جميعـًا، قال فيه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كما في "مجموع الفتاوىٰ": "وهذه قاعدة كبيرة تحتاج إلىٰ بسط" أي: في هذه العبادات أنها لا تسقط بحال، ولا تسقط عند وجود ما يكون من الأعذار التي يُقبل في غيرها وأنها علىٰ حسب القدرة والإستطاعة ولا تكليف إلا بوجود القدرة.

وقال الزركشي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الحديث: "هذا الحديث أصل في صحة صلاة المضطجع"، وهو الذي لا يقدر علىٰ أن يصلي قاعداً، فيصلي مضطجعـًا، فإن عجز عن أدائها مضطجعـًا أومأ برأسه إيماءً. هذا مما جاءت به الشريعة في أمر هذه العبادة.

انظروا أيها المسلمون كيف تعاملتم مع هذه العبادة التي سمعتم من شأنها ما سمعتم.

أستغفر الله، إنه هو الغفور الرحيم

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وأصحابه، **أما بعد:**

ومن خصائص هذه الصلاة ومميزاتها العظيمة: أنها لا تسقط حال الخوف، ولا تسقط حال قتال الكفار، قال الله في كتابه الكريم: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ ﴿١٠٢﴾ [النساء: ١٠٢] ﴾

أمَر الله، فرض الله، أوجب الله صلاة الجماعة في حال قُرْب العدو وقُرب اللقاء بالعدو.

روىٰ الإمام أحمد وغيره من حديث أبي عياش الزُّرقي رضي الله عنه قال: «**كنا مع رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم بعسفان، فالتف لنا المشركون عليهم خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة، فصلىٰ بنا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم الظهر فقالوا: قد كانوا علىٰ حال لو أصبنا غرتهم، ثم قالوا: تأتي الآن عليهم صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم. قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية بين الظهر والعصر: هذه الآية . قال: فحضرت فأمرهم رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم فأخذوا السلاح، قال: فصففنا خلفه صفين، ثم ركع فركعنا جميعًا، ثم رفع فرفعنا جميعًا، ثم سجد النبي صلىٰ الله عليه وسلم بالصف الذي يليه**

والآخرون قيام يحرسونهم، فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون، فسجدوا في مكانهم، ثم تقدم هؤلاء إلىٰ مصافِّ هؤلاء، وجاء هؤلاء إلىٰ مصافِّ هؤلاء، ثم ركع فركعوا جميعًا، ثم رفع فرفعوا جميعًا، ثم سجد النبي صلىٰ الله عليه وسلم والصف الذي يليه، والآخرون قيام يحرسونهم، فلما جلس جلس الآخرون فسجدوا ثم سلم عليهم، ثم انصرف. قال: فصلاها رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم مرتين، مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم».

يا ويل من يتلاعبون بصلاة الجماعة بسبب الأمراض فيهم من الكسل والملل والحِيَل والتلاعب والتخبط، أين هم من هذا الحديث ومن هذه الآية؟

بل قال الله في كتابه الكريم: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ [البقرة:٢٣٩]، ما معنىٰ هذه الآية؟ هذه الآية في صلاة المسايفة حال قتال الكفار وفي صلاة المطلوب من المسلمين الذي يُراد الفتك به واللحاق به للقضاء عليه، فالله علَّم مَن كان علىٰ هذه الحال فقال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ أي: من أعدائكم، قوله: ﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ أي: صلوا مُشاة علىٰ الأقدام، إلىٰ القبلة وإلىٰ غير القبلة، بدون سجود، بدون ركوع، وإنما يومئ برأسه إيماءً، يومئ للركوع ويومئ للسجود، ويجعل السجود أخفض من الركوع. هذه صلاة عند الله مقبولة محبوبة.

لماذا هذه التكاليف؟ أهي من أجل أن الله محتاج إليك وإلىٰ عبادتك؟ لا. بل قال العلماء: أراد الله بهذا التشريع أن لا تنقطع رحمته بعباده، ولا نصره

وتأييده إياهم، وحفظه ودفاعه عنهم، فبقدر ما يتصلون به يَصِلهم المدد من عند الله جل جلاله وتقدست أسماؤه.

كم مسلمين محاربين لصلاح أمورهم الدينية والدنيوية بسبب التكاسل والتلاعب بصلاة الجماعة علموا ذلك أم جهلوا.

يا معشر المسلمين، أعيدوا النظر في أمر الصلاة، الإسلام دعانا إلىٰ أن نعلِّم الأولاد الصلاة وهم أبناء سبع، ونحافظ عليهم حتىٰ لا يَصِلوا إلىٰ مرحلة الشباب وهي مرحلة الجنون والطيش والعجلة - إلا من رحمه الله - إلا وقد تعودوا علىٰ الصلاة، وقد تربّوا علىٰ الصلاة واعتادوا أداءها.

فواجب علىٰ المسلمين الحكام والمحكومين، الراعي والرعية، أن يحافظوا علىٰ هذه العبادة، وأن تُهيَّأ لها المساجد، وأن يُعان المسلمون علىٰ إقامتها، لا علىٰ تشريد الناس من المساجد، وإخراج الناس من المساجد من باب التمذهب والتعصب. هذه الطرق تضر بأصحابها، المساجد تُعظَّم في كل الشرائع وفي كل الملل وعند الكفار، المساجد تُعظَّم، لها حرمتها، ولأهلها ورُوَّادها حرمتهم وكرامتهم.

ومن مميزات الصلاة علىٰ غيرها: أنها العبادة الباقية إلىٰ أن تخرج روح المؤمن، قال تعالىٰ: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الحجر:٩٨] أي: المصلين، ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر:٩٩]، واليقين هو الموت بإجماع أهل العلم. أو يفتقد عقله، فإذا افتقد المؤمن عقله رُفِع عنه التكليف.

معاشر المسلمين، جِدُّوا في المحافظة علىٰ الصلاة، لا سيما علىٰ صلاة الجماعة، فإنك أُمرت أن تركع مع الراكعين، وأن تسجد مع الساجدين، وأن تصلي مع المصلِّين، لا أن تصلي في بيتك بدون عذر شرعي، فهذا تشبه بالمنافقين، وأما من صلىٰ في بيته لعذر شرعي فهذا قد أخذ برخصة الله ورسوله.

فندعو أنفسنا إلىٰ التواصي بإقامة الصلاة، والمحافظة علىٰ إقامتها لعل الله أن يحفظنا ويحفظ أمننا واستقرارنا ودیننا وأخوَّتنا وجوارنا.

اللهم إنا نسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًّا إلا فرجته، ولا دينًا إلا قضيته، ولا عدوًّا إلا قصمته.

اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم عليك بأعداء الإسلام، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا ترده عن القوم المجرمين.

اللهم إنا نسألك يا قوي يا عزيز، اللهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم أعداءك أعداء الدين، اليهود والنصارىٰ المعتدين، اللهم عليك بهم، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك، اللهم عليك بهم فإنهم لا يعجزونك.

اللهم انصر عبادك المجاهدين في كل مكان، اللهم انصر عبادك المجاهدين في فلسطين وفي كل مكان، اللهم أيِّدهم بجنود من عندك، اللهم أيِّدهم بجنود من عندك، اللهم كن لهم ناصرًا، وكن لهم معينًا، وكن لهم حافظًا ومدافعًا.